

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بك ألوذ

"أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ» "

اللقاء الرابع

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛  
صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

روى الترمذي في جامعه عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رضي الله عنه- قَالَ : «اِحْتَبَسَ عَنَّا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- ذَاتَ غَدَاةٍ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى كِدْنَا نَرْتَأَى عَيْنَ الشَّمْسِ ، فَخَرَجَ سَرِيعًا فَتُوبَ بِالصَّلَاةِ ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ ، فَلَمَّا سَلَّمَ دَعَا بِصَوْتِهِ فَقَالَ لَنَا : عَلَى مَصَافِكُمْ كَمَا أَنْتُمْ ، ثُمَّ انْفَتَلَ إِلَيْنَا فَقَالَ : ((أَمَا إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمْ الْغَدَاةَ؛ أَيُّ قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي فَاسْتَنْقَلْتُ ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَبِّ ، قَالَ : فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قُلْتُ : لَا أَدْرِي رَبِّ ، قَالَهَا ثَلَاثًا ، قَالَ : فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيْ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْ ، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَبِّ ، قَالَ : فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ : فِي الْكُفَّارَاتِ ، قَالَ : مَا هُنَّ؟ قُلْتُ : مَشْيُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ ، وَالْجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ ، وَإِسْبَاحُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ . قَالَ : ثُمَّ فِيمَ ؟ قُلْتُ : إِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَلِينُ الْكَلَامِ ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ . قَالَ : سَلْ ، قُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي ، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ

فَتَوَفِّي غَيْرَ مَفْتُونٍ ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ )) ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : إِيَّاهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا .

□ هذا حديث عظيم جامع في فضائل الأعمال، تضمن دعوة عظيمة كبيرة العائدة؛ وهي قوله: ((وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ)).

□ قال ابن القيم رحمه الله: «ومن أفضل ما سئل الله عز وجل حبه وحب من يحبه وحب عمل يقرب إلى حبه، ومن أجمع ذلك أن يقول: (اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك) ، وهذا الدعاء هو فسطاط خيمة الإسلام الذي قيامها به، وهو حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والقائمون بحقيقة ذلك هم الَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ. والله سبحانه تعرّف إلى عباده من أسمائه وصفاته وأفعاله بما يوجب محبتهم له؛ فإن القلوب مفطورة على محبة الكمال ومن قام به».

□ وقد اشتمل هذا الحديث على فوائد عظيمة، وقد أفرد فيه الحافظ ابن رجب رحمه الله سماها «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملائم الأعلى»، ولعلي ألتقط شيئاً من فوائده وألخص طرفاً من فرائده المتعلقة بالدعوات المذكورة في هذا الحديث وهي قوله - ﷺ - : ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي ، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ)) ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : ((إِيَّاهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا)). فهذا دعاء عظيم من أجمع الأدعية وأكملها.

□ الدعاء فيه ترتيب بليغ ومعانٍ عميقة، وانظروا في سؤال الأعمال قبل أن سؤال الحب؟

● لأن تزكية النفس مقدّمة على الترقى في المقامات.....

الدعاء بدأ ب:

□ فعل الخيرات، ترك المنكرات، حب المساكين، طلب المغفرة والرحمة، هذه خطوات تطهير وبناء...

بعد أن تُنقى النفس من المعاصي، وتُعمَّر بالطاعات، يصبح القلب مهياً لمرتبة أعلى وهي محبة الله ومحبة من يحبه.

فقوله - ﷺ -: ((أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات)) يتضمن طلب كل خير وترك كل شر؛ فإن الخيرات تجمع كل ما يحبه الله تعالى ويقرب منه من الأعمال والأقوال من الواجبات والمستحبات، والمنكرات تشمل كل ما يكرهه الله - ﷻ - ويباعد منه من الأقوال والأعمال، فمن حصل له هذا المطلوب حصل له خير الدنيا والآخرة.

● أي: أن يوفقك الله لكل عمل صالح، صغيراً كان أو كبيراً.

أمثلة: بر الوالدين، الصدقة ولو بالقليل، إمطة الأذى عن الطريق، تعليم الناس الخير.....

● ليس المطلوب فقط فعل الخير، بل كذلك الابتعاد عن المعاصي.

● أمثلة: ترك الغيبة، غض البصر، ترك الظلم، الابتعاد عن المال الحرام.....

قوله: ((وَحُبُّ الْمَسَاكِينِ)) هذا قد يقال إنه من جملة فعل الخيرات، وأفردته بالذكر لشرفه وقوة الاهتمام به، كما أفرد أيضاً ذكر حب الله تعالى وحب من يحبه وحب عمل يبلغه إلى حبه، وذلك أصل فعل الخيرات كلها.

● لم يقل: "إعطاء المساكين" فقط، بل حبهم، أي التواضع لهم، ومجالستهم، وعدم احتقارهم.

كان النبي ﷺ يجلس مع الفقراء، ويقول: "اللهم أحييني مسكيناً، وأمّتي مسكيناً، واحشرنى في زمرة المساكين".

وقد يقال إنه طلب من الله - ﷻ - أن يرزقه أعمال الطاعات بالجوارح وترك المنكرات بالجوارح، وأن يرزقه ما يوجب له ذلك؛ وهو حبه وحب من يحبه وحب عمل يبلغه حبه، فهذه المحبة بالقلب موجبة لفعل الخيرات بالجوارح ولترك المنكرات بالجوارح، وسأل الله أن يرزقه المحبة فيه.

فقد تضمن هذا الدعاء سؤال حب الله - ﷻ - وحب أحبائه وحب الأعمال التي تقرب من حبه والحب فيه، وذلك مقتضى فعل الخيرات كلها، ومتضمن لترك المنكرات والسلامة من الفتن، وذلك يتضمن

اجتناب الشر كله. فجمع هذا الدعاء طلب خير الدنيا، وتضمن سؤال المغفرة والرحمة، وذلك يجمع خير الآخرة كله، فجمع هذا الدعاء خير الدنيا والآخرة.

قوله: **((وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي))**؛ المغفرة والرحمة يجمعان خير الآخرة كله؛ لأن المغفرة ستر الذنوب مع الوقاية شرها، وقد قيل: إنه لا تجتمع المغفرة مع عقوبة عليها، ولذلك سمي المغفر مغفراً: لأنه يستر الرأس ويقيه الأذى، وهذا بخلاف العفو، فإنه يكون تارة قبل العقوبة وتارة بعدها.

المغفرة: ستر الذنب وعدم المؤاخذة به. الرحمة: أن يفيض الله عليك من فضله في الدنيا والآخرة. وأما الرحمة: فهي دخول الجنة وعلو درجاتها، وجميع ما في الجنة من النعيم ومن رضى الله - ﷻ - وقربه ومشاهدته وزيارته فإنه من رحمة الله ، وفي الحديث الصحيح: **((إِنَّ اللَّهَ - ﷻ - يَقُولُ لِلجَنَّةِ: أَنْتَ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشْيَاءِ مَنْ عِبَادِي))** ، فكل ما في الجنة فهو من رحمة الله - ﷻ - ، وإنما تنال برحمته لا بالعمل كما قال - ﷺ - : **((لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ))**، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: **((ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته))** .

قوله: **((وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَأَقْبِضِي إِلَيْكَ غَيْرِ مُفْتُونٍ))**؛ المقصود من هذا الدعاء سلامة العبد من فتن الدنيا مدة حياته، فإن قَدَّرَ الله - ﷻ - على عباده فتنه قبض عبده إليه قبل وقوعها، وهذا من أهم الأدعية، فإن المؤمن إذا عاش سليماً من الفتن ثم قبضه الله تعالى إليه قبل وقوعها وحصول الناس فيها كان في ذلك نجاةً له من الشر كله.

الفتن قد تكون: فتنة الدين، فتنة المال، وفتنة السلطة، فتنة العلم... وهذا دعاء بالثبات وسلامة الدين... مثال معاصر: أنتشار كذبة ما يسمى علم الطاقة وضلال كثير من الناس، وقعوا في شرك الشيطان، و المعاصي التي تُتَزَيَّن للناس كالسحر حتى أصبح هناك دعاة للشر يدعون لها الناس علناً، قد يثبت بعضهم ويقع آخرون. فالمؤمن يسأل الله السلامة.

قوله: **((وَأَسْأَلُكَ حَبِكَ، وَحُبَّ مَنْ يَحِبُّكَ، وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذِي يَبْلُغُنِي حَبِكَ))**؛ هذا الدعاء يجمع كل خير، فإن الأفعال الاختيارية من العبد إنما تنشأ عن محبة وإرادة، فإن كانت محبة الله ثابتةً في قلب العبد

نشأت عنها حركات الجوارح فكانت بحسب ما يحبه الله ويرتضيه، فأحب ما يحبه الله - ﷻ - من الأعمال والأقوال كلها، ففعل حينئذ الخيرات كلها وترك المنكرات كلها، وأحب من يحبه الله من خلقه.

«اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أَحَبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ، وَمَا رَزَوْتِ عَنِّي مِمَّا أَحَبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي فِيمَا تُحِبُّ».

ومحبة الله تعالى على درجتين:

□ إحداهما: واجبة؛ وهي المحبة التي توجب للعبد محبة ما يحبه الله من الواجبات، وكراهة ما يكرهه من المحرمات؛ فإن المحبة التامة تقتضي الموافقة لمن يحبه في محبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه، خصوصاً فيما يحبه ويكرهه من المحب نفسه، فلا تصح المحبة بدون فعل ما يحبه المحبوب من محبته، وكراهة ما يكرهه المحبوب من محبته. ومتى أخلَّ العبد ببعض الواجبات أو ارتكب بعض المحرمات فمحبته لربه غير تامة، فالواجب عليه المبادرة بالتوبة، والاجتهاد في تكميل المحبة المفضية لفعل الواجبات كلها واجتناب المحرمات كلها.

وهذا معنى قول النبي - ﷺ -: ((لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الحَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ))، فإن الإيمان الكامل يقتضي محبة ما يحبه الله، وكراهة ما يكرهه الله - ﷻ -، والعمل بمقتضى ذلك. فلا يرتكب أحد شيئاً من المحرمات أو يخلُّ بشيء من الواجبات إلا لتقديم هوى النفس المقتضي لارتكاب ذلك على محبة الله تعالى المقتضية لخلافه.

□ الدرجة الثانية من المحبة: درجة المقربين؛ وهي أن يمتلئ القلب بمحبة الله تعالى حتى توجب له محبة النوافل والاجتهاد فيها، وكراهة المكروهات والانكفاف عنها، والرضا بالأقضية والأقدار المؤلمة للنفوس لصدورها عن المحبوب.

ولما كانت محبة الله - ﷻ - لها لوازم - وهي محبة ما يحبه الله - ﷻ - من الأشخاص والأعمال، وكراهة ما يكرهه من ذلك - سأل النبي - ﷺ - الله تعالى مع محبته محبة شيئين آخرين:

أحدهما: محبة من يحبه الله؛ فإن من أحب الله أحب أحبائه فيه ووالاهم، وأبغض أعداءه وعاداهم كما قال النبي - ﷺ -: ((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ...)) الحديث. وأعظم من تجب محبتهم في الله أنبياءه ورسله، وأعظمهم نبيه محمد - ﷺ - الذي افترض الله على الخلق كلهم متابعتة، وجعل متابعتة علامة لصحة محبته ، كما قال تعالى: **{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ}** [آل عمران:31].

والثاني: محبة ما يحبه الله تعالى من الأعمال، وبها يبلغ إلى حبه؛ وفي هذا إشارة إلى أن درجة المحبة لله تعالى إنما تنال بطاعته وبفعل ما يحبه، فإذا امتثل العبد لأوامر مولاه وفعل ما يحبه أحبه الله تعالى ورقاه إلى درجة محبته، كما في الحديث الإلهي الذي خرجه البخاري: ((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ)).

ليس أي عمل، بل العمل الذي يوصلك إلى محبة الله، مثل: قيام الليل، الصدقة السرية، بر الوالدين، إصلاح ذات البين.....

وقد عقد ابن القيم رحمه الله في كتابه مدارج السالكين فصلاً في الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها قال رحمه الله: «وهي عشرة:

أحدها قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض.

الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال؛ فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إيثار محابه على محابك عند غلبة الأهواء.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومبانيها، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة.

السادس: مشاهدة برّه وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة؛ فإنها داعية إلى محبته.

السابع وهو من أعجبها: انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتأدب بآداب العبودية بين يديه ، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطياب ثمرات كلامهم .

العاشر: مباحة كل سبب يحول بين القلب وبين الله.

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى أعلى المنازل، وبالله التوفيق».

☐ وهذه المحبة كما يقول رحمه الله: «هي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرّة العيون، وهي الحياة التي من حُرّمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلّت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله همومٌ وآلام ، وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه».

هذا الدعاء يجمع:

● صلاح العمل (فعل الخيرات).

● سلامة السلوك (ترك المنكرات).

● صفاء القلب (حب المساكين).

● نجاة الآخرة (المغفرة والرحمة).

● الثبات وقت الفتن.

● أعظم الغايات: محبة الله، لذلك كان من الأدعية العظيمة التي يستحب للمسلم أن يكثر منها.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ -عَلَّاهُ- أَنْ يُوَفِّقَنَا أَجْمَعِينَ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَأَنْ يَصْلِحَ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ، وَأَنْ لَا يَكِلَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ.

وصلّى الله وسلّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.